المصدر: صباح الخير

التاريخ : ١٩٧٠/١٠/٢٣

عبد الستار الطويلة

كنت مشوقا ان ارى كيف يقضي ابن القرية الذى تعلم فى كتابها .. ويمت بصلة القربى الى كل سكانها آخر يومين له معهم قبل ان يتولى اكبر واخطر منصب فى البلاد ، وتشغله اعباء المسئوليات الجسام بعد ان قال الشعب نعم .. باغلبية ساحقة .

وانور السادات ابن قرية « ميت الكوم » فلاح بالمعنى الفنى للكلمة .. فهو مالك صغير . لاربعة افدنة فقط . بنى وسطها بيتا صغيرا من طابقين يحتوى على اربع غرف .. ومضيفة كبيرة مستقلة بناها خصيصا لاستقبال اهل القرية فى ليالى الشتاء .

يجلسون جميعا .. يشربون الشاى والقهوة ، وهم يتجاذبون اطراف الحديث فى الفة « مذهلة » على حد تعبير الدكتور يس محمد على الطبيب البيطرى بالمركز والذى يتردد على القرية دائما لعلاج مواشيها .

والرئيس انور السادات يتردد على قريته كثيرا .. كل اسبوعين على الاقل ... واحيانا كل اسبوع - وعلى نفس الاربعة الفدنة بنت شقيقتان لأنور السادات بيتين متواضعين جدا تعيش كل منهما فيه . وتتناثر بين البيوت عدة اشجار فاكهة . وبيوت مزروعة بالجرجير والفجل والخس .. يزرعها بنفسه أنور السادات ويرعاها .

وعندما نزلت القرية . ومعى فتحى سلمان امين الاتحاد الاشتراكى بمركز تلا والدكتور رجائى حسين حكيمباشى المستشفى .. وجدنا عدة اطفال يلعبون فى الشارع اشار فتحى سلمان على طفلة صغيرة - دى بنت اخت «الاستاذ» أنور .

وكلمة الاستاذ هى اللقب الذى يصر اهل قريته على مناداته به رغم انه كان نائبا لرئيس الجمهورية ثم رئيسا للجمهورية .

الطفلة عادية جدا لاتفرق بينها وبين عيال الفلاحين الذين كانت تلعب معهم .

سلمى .. تلميذة بالسنة الثالثة ابتدائى . عمرها ٨ سنوات .. وعندما استوقفتها بادرتنى بالسؤال :

- انتم جايين علشان خال انور ؟

◆ ايوه .. انت مش قاعده معاه ليه ؟

- هو انا عارفة اقعد لوحدى معاه .. لازم واحد طول الوقت مع الناس ..

والتقى برفعت ماضى ·· من أهل القريةوكان تلميذا مع أنور السادات فى مدرسـه الاوباط الابتدائية بطوخ دلكه ·

ـ كنا نمشى على رجلينـا ٢ كيلو من ميت أبو الكوم لطوخ ··وكان الاستاذ أنور دايماكان يسبقنا ويجرى فى الطريق ·· وكان شاطرقوى فى الانجليزى ·

وفى سنة رابعة ابتدائى كان يردد الحديث الشريف بعد أن نال درجة عاليـة فى امتحان الفترة : من تعلم لغة قوم أمن مكرهم !

ويمضى يروى رفعت ماضى ذكريات طريفةعن أنور السادات ·

ـ كان شعلة من النشاط ·· وهو فى ابتدائى وبيدرس انجليزى كويس كان بيتهم حفـظ القرآن الذى بداه فى الكتاب ·

وحكى لى فتحى سلمان أمين الاتحادالاشتراكى ان أول عملين يقوم بهما «الاستاذ أنور» كلمـا زار قريته : انيزور قبر والدته واقربائه ويقرأ الفاتحة ·

والفلاحون فى ميت أبو الكوم يتحدثون عن مخالطة أنور السادات لهم على المصـطبة وفى المضيفة وفى الحقل ببساطة باعتبارها من طبيعة الأشياء ·· ويدهشون عندما نبدى نحن سكان المدينة الذين ازعجتنا البيروقراطية وقيودهـا دهشتنا ·

يقول العمدة محمد محمد ماضى :

ـ الأستاذ أنور منا وعلينا ·· كلنا أقاربه· وهو لم يتغير أبدا ·· وبكره بعدما بقى رئيس الجمهورية جيجى هنا ·

والفلاح محمود رمزى زيدان ·· يحكى عن مرور أنور السادات المتكرر عليهم فى الزرعة·

• هل كان يلبى طلباتكم ؟

فتحى سلمان يجيب على سؤالى ·

ـ الحاجات الشخصية كان يعملها من جيبه الخاص ·· يفك كربة واحد او حاجة · اما المسائل ذات الطابع العام فكان دائما يقول لما يبجى علينا الدور فى الخطة ··ولكنه بار دائما باهل قريته ··يشارك فى عزاء كل من توفى له احد ·· ويهنئ بالافراح ·· بل هو رئيس شرف جمعية ابناء ابوالكوم العاملين فى القاهرة !

ومن احاديث الفلاحين بدا لى الامر كما لو كانت قرية منت ابو الكوم بل ومركز تلا ··لم يكن ارتباط الرئيس بهما مجرد انتماء وبر بأهله وعشيرته ·· انما كانت بالنسبة له معهد ابحاث عن مشاكل الفلاح والتطوير الاجتماعى فى الريف ·

بل انه جعل السيدة زوجته تشاركه فى هذا فتمكنت جمعية التنمية الاجتماعية فى تلا · اجتذبت لها عددا من سيدات المركز اللاتى يحلمن يوما بالخروج لمجال الخدمة الاجتماعية·

قالت لى السيدة عليه حسين وراوية محمود عن عضوتا الجمعية ·· انه لاتوجد فلاحة أو سيدة فى المركز لاتعرف زوجة السيد انور السادات ·· فقد مسحت المركز بيتا بيتا ·· · تحدث الفلاحات وتستمع الى مشاكلهن · وذلك لسنوات عديدة ·

ولقد رايت كل هذا وعشت فيه بنفسى مع اهل القرية وانور السادات يومى الخميس والجمعة الماضيين ·

رايتهم يحيطون به دون كلفة ·· ويبادلونه التحية ويعانقونه ··

ـ اهلا ياعبد الجليل ٠ ٠ازاى ابنك دلوقت٠

ـ اهلا ياناظره ٠٠ شاده حبلك بعد جوزك فى الفدانين والا لأ ٠٠

ـ ازيك ياحضرة الناظـر ٠٠ الأهالى بيبعتوا النصلين والا لأ ٠

اهلا ٠٠ وازيك ٠٠ ويحيا الاستاذ انور ٠ على مبادىء عبد الناصر ويندمج ابن القرية

ويجلس الجميع فى وليمة شاملة للغداء ٠٠ يتغدى معهم بعد صلاةالجمعة فىالمسجد ٠ وربما كانت اول قرية فى الدنيا تتغدى كلها مع ابنها الذى اصبح رئيسا للجمهورية ٠

★★

واعود الى القاهـرة ٠٠ ابحث فى مكتبى عن كتب انور السادات الثلاثة عن ثورة ٢٣ يوليو « صفحات مجهولة » و « ولدى هذا عمك جمال » ٠٠ و « اسرار فى السياسة المصرية » ٠

ومن خلال صفحاتها اعرف الكثير عن تاريخ ابن قرية (ميت ابوالكوم) ودوره فى الثـورة والكاره ٠

ولا تنفصل بداية تاريخ انور السـادات النضـالى عن تاريخ الزعيم الراحل جمـال عبد الناصر ٠٠ فقد كان الاثنان وعدد آخر من الضباط الذين كانوا رفاق سلاح فاصـبحوا ايضا رفاق نضال طويل ٠٠ يعملون فى منقباد عام ١٩٣٨ وكلهم فى رتبة الملازم الثانى ٠٠

ويتحدث انور السادات عن الملازم ثانى جمال عبد الناصر فى تلك الفترة بقوله « كان هذا الصديق بيننا صورة حلوة للاخاء والصداقـة باحترامنا جميعا ٠٠ »

وفى تلك السنوات المبكرة لم يكن هنـاك

لدى هؤلاء الضباط الصغار الوعى التنظيمى الكافى الذى يمكنهم من اقامة تنظيم دقيق لهم يستطيع القيام بثورة كما حدث بعد ذلك فى عام ١٩٥٢ ..

ونجد فى تاريخ انور السادات تجـــارب ومحاولات الكثير من الشباب الوطنى لجيـــل ما يسمى بجيل الحرب العالمية الثانية ، التى فتحت تلك الحرب عيونه على الكثير من المسائل.

فى تلك الفترة من التاريخ المبكر للملازم انور السادات نجده شعلة من النشاط ، يختلط بتنظيمات سياسية مختلفـــة فى ذلك الحين ويحاول من خلال احتكاكه بها وتجاربه الوطنية العديدة ان يستخلص طريقة سليمة للتحرير.

ومن اجل هذا كله كان حتمـــا انه يقـــع الضابط الثـــائر فى يد مخـــابرات الجيش ويحاكم امام مجلس عســـكرى به ضـــابطان انجليزيان وصدر القرار بفصـــله من الجيش فى ٨ اكتوبر ١٩٤٢ بعد حـــادث ٤ فبراير بثمانية شهور .

وما ان افرجت عنه سلطات الجيش حتى تلقفته سلطات البوليس السياسى حيث زجت به فى معتقل المنيا ..

وذاق انور السادات قسوة الاعتقـــال بل وعذاب السجن عندما قبض عليه بعد ذلك فى عام ١٩٤٦ وسجن ٣١ شهرا فى زنزانة انفرادية فى سجن مصر فى قضية مصرع امين عثمان حليف الانجليز وقد حكـــم القضـــاء ببراءة السادات حينذاك ..

وكان اكثر ما عاناه السادات فى معتقلـــه عام ٤٢ وسجن عام ٤٦ هو ما وصفه بعبارات انسانية مؤثرة بقلمه :

.. فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من اجل فكرة انهم لايضعفون امـــام المـــوت ولا يضعفون امام السجن ولا يضعفون امام التعذيب . وقد يخيل لهم فى لحظات الحماس والانفعال انهم لن يضعفوا امام شىء فى الوجود ولكنهم فى هذا واهمون .

فهناك الشىء الذى يضعفون امامـــه والذى لايملكون حياله شيئا الا الفرار . الفرار من الواقع والفرار من التفكير فيه . الفرار من هذه المعارك التى تطرق الراس والقلب والضمير .

وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستســـلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح ويقظة الفكرة المتاصلة فى نفسه ومثالية الهدف . ولعلك عرفت هو هذا الشىء الذى يضعف امامه المجاهدون .. انه الولد .. الطفل .. العيال!

وعانى أنور السادات أيضا مرارة الاحساس بان كل الناس افرج عنهم ما عداه .. الا انه عندما سقطت وزارة الوفد فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ وجاءت وزارة احمد ماهر .. صرح احمد ماهر بانه تقرر الافراج عن جميع المعتقلين .. ثم عاد واستبقى عددا قليلا من المعتقلين كان انور السادات منهم!

وانصرف تفكير الثائر الى ضرورة الهرب . واستطاع الهرب فعلا فى شهر نوفمبر ١٩٤٤ من معتقل المنيا .

وخلال فترة هربه كان عليه ان يواصل كفاحه مع زملائه الضباط الذين كانوا يجتمعون فى تشكيل هلامى غير محدد .. فى نفس الوقت كان عليه ان يقوم بعمل يحصل منـــه على قوته وقوت عياله وهو مختف عن الانظار حتى لا يكتشف امره البوليس .. وقد عمـــل انور الســـادات فى تلك الفترة كمقاول للنخل ! .. حتى الغيت الاحكام العرفية عام ١٩٤٥ .

وعاد بعد ذلك الى الجيش مرة اخرى .. حيث كان جمال عبد الناصر قد بدأ فى تنظيم الضـــباط الاحرار .. وســـاهم السادات بدور نشيط فعال .. واثناء معركة الكفاح المسلح فى القنال عام ١٩٥١ .. كان على انور السادات ان يتســـلم فى العريش لغما بحريا كبيرا ليضـــعه فى القنال لينسف باخرة

انجليزية لتسد القنال لتقديم دليل كاف للعالم على ان الانجليز لا يستطيعون حماية القنال مادام المصريون لا يمكنونهم من ذلك وعرفت هذه القصة بقصة «التيتل» وقد كشف عنها فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد لاول مره فى محكمة الثورة.

ويوم ٢٢ يوليو تسلم انور السادات امرا من قائد تنظيم الضباط الاحرار جمال عبد الناصر بالعوده من رفح الى القاهرة .. وعاد انور السادات فى المساء ولم يكن يعرف ان الحركة ستنفذ فى نفس الليلة فتوجه الى احدى دور السينما .. وعندما عاد الى البيت فى منتصف الليل وجد اشارة التقليد فى انتظاره .. فنزل على الفور وتوجه الى مقر القيادة وكان اول من اذاع البيان فى الراديو فى الصباح الباكر .

ومنذ قيام الثوره .. شغل انور السادات عدة مناصب .. اشرف على تحرير جريدة الجمهورية وهو عضو مجلس قياده الثوره .. وانتخب وكيلا لأول مجلس امة عام ١٩٥٧ .. تولى مسئولية الاشراف على مساندة مصر لثورة اليمن فترة طويلة . ورئيسا لمجلس الامة ثم نائبا لرئيس الجمهورية .

وقد حضر عدة مؤتمرات دولية كان ابرزها فى السنتين الاخيرتين مؤتمر الدول الاسلامية للاحتجاج على حرق المسجد الاقصى .

وحدثت بينه وبين شاه ايران المصادمة المشهوره التى استشهد فيها السادات بالشعر الفارسى .

وقد رافق الرئيس عبد الناصر فى زيارته لموسكو وشارك فى اجراء المباحثات مع القادة السوفييت .

لقد عاش انور السادات ثورة ٢٣ يوليو .. منذ عام ١٩٣٨ .. عندما كانت مجرد احلام ضبابية فى رءوس نفر من الضباط الثوريين على راسهم جمال عبد الناصر .. الزعيم الراحل .

وقد القى التاريخ على عاتق انور السادات ابن الارض الطيبة مسئولية قيادة الثورة حتى انجاز مهامها . وهو نفسه قد قال لاعضاء مجلس الامة الذين رشحوه ، انى جئت اليكم على طريق جمال عبد الناصر ، ولتكونوا جميعا معى .